يصطفلوا

حسنًا، لقد وقعت هذه الحادثة الغريبة في النصف الثاني من عقد التسعينات، ومع ذلك، فيمكنك أن تعتبرها حادثة عادية تمامًا، وأن تخمن تخمينات كثيرة، وتقترح حلولاً هزلية لهذا اللغز الكبير! ولولا أنني قد شهدت هذا بنفسي، لاقترحتُ حلولاً مثل التي ستقترحها! ها أنت تبتسم وتقول وأنت تهرش دماغك: هذه خدعة! ليس إلا مقلب سخيف، كذبة هزلية لا بد أنّ الفتاتين قد لفقتاها في العام الماضي لجذب الاهتمام وإحداث الإثارة ليس إلا، ولا بد أنهما قد ضحكتا منها كثيرًا أيضًا بعد ذلك! ولكن مهلاً، انتظر، قبل أن تسترسل في خيالاتك، من المؤسف بالنسبة لي، دعني أخبرك أنهُ، كان يمكنني أن أقول مثلك بالضبط لولا أني قد رأيت هذا بأم عيني.

في فناء المدرسة التي تؤدي فيها بنات العائلات المصرية "امتحانات أبنائنا في الخارج" في منطقة "ك" بإحدى دول الخليج العربي، جلستُ أرتاح وحدي في انتظار الخروج، لكني جلست بالقرب من فتاتين لا أعرفهما. كان يبدو أنهما تتحدثان في أمرٍ هام، وأن جوًا مضطربًا يسيطر على سياق الحديث. قالت إحداهما فجأة وهي تلتفت إلي، وعرفتُ أن اسمها سهر: اسمعي إلى هذا الكلام! هذه البنت تقول لي:...

- هه، ماذا تقول؟! ولم أصدق أذني، لأول مرة أسمع بمثل هذا! عندئذٍ فتحت البنت فمها، ثم أغلقته بسرعة، كان يبدو أنها تريد أن تقول شيئًا ما، لكنها تستجمع شجاعتها. تلعثمت قليلاً، وقطع القلق ملامحها تقطيعًا، لكنها قالت فجأة كأن الكلمات تخرج من تلقاء نفسها: أنا بنت عمي أمها إسرائيلية! وصُعقت سهر للمرة الثانية، لكنها استوعبت الجملة أسرع مني، بينما احتجت إلى التكرار عدة مرات حتى أستوعب.

سرعان ما توالت الأسئلة على البنت التي فجرت القنبلة، تجمعت ثُلَّة كبيرة من البنات: طب ازاي؟! هوه عمك أصلا مش مصري؟!

- لا مصري، بس هو اتجوز وحده اسرائيلية.

- ازاي بقى وقابلها فين؟!

وشعرت البنت بضيق مفاجئ كأنها قد تحدثت أكثر مما ينبغي! أو كأنها متهمة يقذفونها بالأسئلة، وينتظرون أن تبرر وتدافع عن نفسها، كأنها هي المعنية بالأمر لا ابنة عمها المجهولة التي لا يدري عنها أحدٌ شيئًا. ولحسن حظها، دق جرس الخروج، فتخلصت منهن بسهولة.

ملأتني القصة استغرابًا، وعندما تجاوزت عتبة الباب خارجة من المكان أدركتُ بإحساسٍ جلي أن هذه البنت لم تكن تتحدث إلا عن نفسها، إنها قصتها هي، وليست قصة أحد آخر، ليس ثمة ابنة عم في الحكاية!

في العام التالي، قابلتها في الفناء مصادفة، شعرت بتعاطف نحوها، ولم أكن أنوي بأية حال أن أواجهها بحدسي بالحقيقة، أردت أن أطمئن عليها فقط. سألتها: إزيك يا جيمين؟ لكن البنت لم ترد، كررت السؤال، لكنها لم ترد أيضًا، وتابعت طريقها! لكني لم أسكت، لقد طاردتها ولاحقتها بالسؤال، فالتفتت فجأة وقالت: أنا مش جيمين.

- لا بس انتي...

قاطعتني: مش انا! ومضت سريعًا.

بالفضول القوي، أردت أن أكتشف سر هذا الموضوع، وقفت متربصة أبحث حولي، وأخيرًا استطعت أن ألتقط سهر : خدي خدي تعالي، هي البت دي مش كانت مسيحية السنة اللي فاتت، وكان اسمها جيمين؟!

- جايبه الكلام ده منين؟!

- قوليلي الصراحة، والله مش هقول لحد.

رفعت حاجبيها ثم أنزلتهما، لم أخمن إن كان بطريقة مفتعلة أو حقيقية. قالت بهدوء تُحسد عليه: حرام عليكي ما تقوليش كده، دي مسلمة، واسمها جمانة، ولسه كانت بتصلي دلوقتي! حتى تعالي هكلمها قدامك.

- طب استني هو انتي صاحبتها، ولا كنتي قاعدة معاها بالصدفة؟

- قاعدة إمتى؟!

- إنتي صاحبتها طيب؟

- أيوة.

- طب تعرفيها كويس يعني، تعرفيها منين؟

- لا، أنا عرفتها من الامتحانات هنا بس.

ومضينا رأسًا نحو البنت التي كانت ترتدي عباءة وحجابًا هذه المرة، وتبدو على وجهها أمارات الرضا والسلام النفسي.

قالت سهر: قولي لها إنتي اسمك إيه؟!

نظرت البنت متعجبة كأنّ سهر لا تعرف اسمها: اسمي جمانة.

وانفعلتُ فجأة: انتي مش كان اسمك جيمين السنة اللي فاتت؟!

قالت البنت: أنا؟! مين اللي قالك كده، أنا اسمي جمانة.

- هوه انتي مش كنتي مسيحية؟!

- أستغفر الله، طول عمري مسلمة والحمد لله!

أبدت عدم تصديقها،وأصرت على موقفها دون فائدة، لكنها شعرت فجأة بالشفقة عليهما، وأنها لو بقيت تجادلهما هكذا فستكونان في أشد الضيق والحرج، لأنهما تتظاهران. "هؤلاء الأوغاد يخفون شيئًا!" خجلت أن تحرجهما أكثر من ذلك، تركتهما ومضت وهما مصرتان على الكذب. وضربت كفًا بكف متذمرة، "يا ولاد الكلب يعني انا كانت بتجيلي تهيؤات؟!" وقالت في سرها أيضًا: هذه الغبية لم تكن خائفة، إنها تتحدث في ثقة! وأومأت برأسها إشارة ما يقوله السوريون" يصطفلوا"!

بعد سنوات طويلة، فتحت شبكة الإنترنت، لتبحث عن معنى هذا الاسم:

The name Jamin is a baby boy name! In Hebrew the meaning of the name Jamin is:.....

In American the meaning of the name Jamin is: .....

جمين حسين؛ الملفات الشخصية في فيس بوك، جمين علي، لم يفلح بحثك في العثور على نتيجة، هل تقصد معنى اسم جمانة؟، جمان، الشيخ صلاح جمين، الـ...

اللعنة! ماذا يعني كل هذا؟! وغمغمت: يصطفلوا!